مزايا الاسلام

— ٢ —

الإسلام دين الوحدة

العامل الثانى فى محو التعصب للجنسية : — يجد الباحث فى تواريخ الأمم قديماً وحديثاً أن تعصب الشعوب للجنسية كان — ولا يزال — من العوامل القوية فى إثارة الفتن ، وبغى الأمم بعضها على بعض ، وخوضها غمرات الحروب الطاحنة بتأثير النعرة الجنسية ؛ بل أن بعض القبائل المختلفة من أمة واحدة كانت تندفع وراء هذا التعصب الأعمى إلى إثارة بعضها على بعض ، لظن كل قبيلة منها أنها أشرف من غيرها ، وأجدر بالسيادة على من عداها ، كما كان ماصلا بين القبائل العربية فى عصور الجاهلية ، وبين الامارات الأوربية فى عهد النظام الأقطاعى ، حتى ظن بعض الباحثين أن التعصب للجنسية من الوجدانيات الطبيعية التى تساق إليها الأمم انسياقاً اضطراريا — وان كان الواقع يخالف هذا الظن — وقد بلغ التعصب للجنسية أشده بين الأمم الغربية فى هذا العصر ، ولينهم اقتصروا على مجرد الافتخار بجنسياتهم ، وجعلوها وسيلة للتعاون على المصالح الضرورية لحياتهم ، بل إنهم أسرفوا فى التعصب لها فاتخذوها ذريعة لأشعال نار الحرب بحق وبغير حق ، ومع تسلط هذا الوجدان على شعور الأمم فلا سبيل الى ايجاد وحدة عالمية تكفل تحقيق السلام العالمى الذى فكر فيه أقطاب الشعوب فلم يظفروا الا بالفشل التام .

ولما كان الإسلام ديناً عالمياً وقانوناً الهياً أنزله الله لتنظيم حياة البشرة كان من أهم مبادئه الدعوة الى تضامن الشعوب ، وهدم العصبيات القبلية ، وإزالة النعرة الجنسية فدعا الناس جميعا على اختلاف جنسياتهم الى التعارف للتعاون على خير الأمم كلها ، وبين لهم أن التفاخر لا ينبغى أن يكون بالانتماء الى جنسية خاصة ، لأن جميع الناس عند الله سواء ، لافضل لأحد منهم على أحد ، ولا لأمة على أمة الا بتقوى الله ، قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « يا أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا

بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هل بلغت قالوا بلى يارسول الله » الخ وأكثر من ذم العصبية الجنسية . كما فى قوله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود مرفوعا من حديث جبير بن مطعم

ولم يعتبر الاسلام جنسية تكون أساساً للترابط بين أفراد الناس وجماعاتهم إلا الجنسية الاسلامية التى تمحو أثر المباعدة والمنافرة بين العشائر والقبائل ، بل الأجناس المتخالفة فى الغايات واللغات والعادات ، بل المتباعدة فى الصور والأشكال ، وتحول أهواءها المتضاربة إلى قصد واحد هو التعاون على البر والخير والمصالح العامة . وذلك ما كاد الإسلام يعلن هذا المبدأ حتى نبذت القبائل العربية تعصباتها القبلية ، والتفت حول الراية الاسلامية ، فبهرت بتعاليمها وأبعادها عقول الناس ، وفتحت معظم أقطار العالم شرقا وغربا وشمالا ، وأقامت فيها معالم مدنيتها الزاهرة

وهذا المبدأ مع تكوينه من أعظم الوسائل فى القضاء على الفتن التى تنشأ من التعصب الجنسية ، فهو أيضاً آية من آيات الأسلام الباهرة الدالة على أنه حق ، وأنه وحى من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه من المبادىء التى ما كانت لتخطر على فكر أحد من الناس فى العصر الذى ظهر فيه الأسلام ، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم — وهو أمى نشأ فى أمة أمية بعيدة كل البعد عن العلم بالشرائع والقوانين وأصول المبادىء الاجتماعية — ان يأتى به من تلقاء نفسه ، لأن العقول البشرية مهما سما إدراكها محدودة بحدود البيئة والزمان الذى تكون فيه ، فلولا الوحى الالهى ما اهتدى العالم البشرى إلى ذلك المبدأ القويم

حسين سامى
خريج تخصص الأزهر والمحامى الشرعى

* * *

لو خاف ابن آدم من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً . ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعاً . ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعاً ؟